



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

مجلة الجامعة الإسلامية

لغة العربية وآدابها

مجلة علمية دورية محكمة

يوليو - سبتمبر ٢٠٢٣ م

العدد : ٩



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية :

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ٩٠٧٦-١٦٥٨

النسخة الإلكترونية :

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ٩٠٨٤-١٦٥٨

الموقع الإلكتروني للمجلة

<http://journals.iu.edu.sa/ALS/index.html>

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة إلى البريد الإلكتروني :

asj4iu@iu.edu.sa

البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

أ.د. عبد الرحمن بن دخيل ربّه المطر في

(رئيس التحرير)

أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن صالح العوفي

(مدير التحرير)

أستاذ النحو والصرف المشترك

بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبد العزيز بن سالم الصاعدي

أستاذ النحو والصرف بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن محمد علي العوفي

أستاذ اللغويات المشترك بمعهد تعليم اللغة

العربية بالجامعة الإسلامية

د. مبارك بن شتيوي الحبشي

أستاذ البلاغة المشترك بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد بن صالح الشنطي

أستاذ الأدب والنقد بجامعة جدرا-الأردن

أ.د. علاء محمد رافت السيد

أستاذ النحو والصرف والعروض

بجامعة القاهرة

أ.د. عبد الله بن عويقل السلمي

أستاذ النحو والصرف

بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

قسم النشر: د. عمر بن حسن العبدلي

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب لركستاني

أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد محمد أبو موسى

أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة

العربية جامعة الأزهر

أ.د. توكي بن سهو العتيبي

أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد

بن سعود الإسلامية

أ.د. عبد الرزاق بن فراج الصاعدي

أستاذ اللغويات بالجامعة الإسلامية

أ.د. سالم بن سليمان الحماش

أستاذ اللغويات في جامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. محمد بن مريسي الحارثي

أستاذ الأدب والنقد في جامعة أم القرى

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد

أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود

أ.د. صالح بن الهادي رمضان

أستاذ الأدب والنقد . تونس

أ.د. فايز فلاح القيسي

أستاذ الأدب الأندلسي في جامعة

الإمارات العربية المتحدة

أ.د. عمر الصديق عبدالله

أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا

العالمية-الخرطوم

د. سليمان بن محمد العبيدي

وكيل وزارة الإعلام سابقاً

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتسم بالأصالة والجدة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستقلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيتّه.
- أن يشتمل البحث على:
 - عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
 - مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
 - كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
 - مقدّمة.
 - صلب البحث.
 - خاتمة تتضمّن النتائج والتوصيات.
 - ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
 - رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.
- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقياً أو إلكترونياً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحليّة والعالمية - بمقابل أو بدون مقابل - وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة - في أي وعاء من أوعية النّشر - إلّا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: <http://journals.iu.edu.sa/ALS/index.html>

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
	(نفي ما وجب للأول عن الثاني)	
(١)	أدواته وأساليبه النحوية وأبعاده الدلالية د. محمد بن جزاء بن زقحان الرويس العتيبي	٩
(٢)	ما أجراه النحاة من الألفاظ مُجرى القَسَم — دراسة نحويّة د. حسان بن نور بن عبد القادر بتوا	٥٥
(٣)	نسبة الشّواهد الشّعريّة في كتاب سيبويه د. أحمد بن عتيق بن راضي الحربي	١٤٥
(٤)	جهودُ عليّ بن سلطان الحَكَميّ في خدمة اللّغة العربيّة د. علي بن سعيد العواجي	٢٢٣
(٥)	صور من تكلف النحويين في شرح التسهيل لابن مالك دراسة تطبيقية تحليلية د. عبد الله بن عثمان بن محمد اليتيمي	٢٨٣
(٦)	المجانسة الصوتية في ظاهرة الإعراب بالحروف د. محمود رجاء حسن نوافلة د. رائدة علي مراشدة	٣٣١
(٧)	وظيفة الاعتبار في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ سعيد بن عبد الله القرني	٣٧١
(٨)	المجنون ناقداً، النقد الأدبي في رواية العصفورية لغازي القصيبي _ دراسة استقرائية تحليلية د. صالح بن عويد الحربي	٤٣٥

م	البحث	الصفحة
(٩)	راهنُ الأدب الرّقمي في المملكة العربيّة السّعوديّة دراسةٌ وصفيةٌ تحليليّة د. أحمد بن عيسى الهلالي	٤٨١
(١٠)	جائحةُ كورونا في رواية "سيرة حمى" مقاربة إيكولوجية أمل بنت محسن بن عواض القشامي العتيبي	٥٣٥
(١١)	الاستغراب في الرواية السّعودية : رواية العصفورية أنموذجاً د. عادل بن مصيلح المظيري	٥٩٩
(١٢)	الصُّورة البصريّة في القصّة القصيرة بشرى خلفان أنموذجاً د. شيمة بنت محمد فالح الشمري	٦٤٧
(١٣)	تحوّلات التّجربة الشّعريّة في العُنْوانِ والأنا عند الشّاعرِ مُحمّد الشّدويّ د. فهد بن مرسي بن محمد البقمي	٦٧٩
(١٤)	التداخل بين المذكرات والرحلة في كتاب "من ذكريات مسافر "لمحمد عمر توفيق" مقاربة إنشائية" د. طنف بن صقر العتيبي	٧٣٣
(١٥)	الفراغات النّصيّة في ضوء نظريّة التّلقّي دراسة تطبيقيّة في شعر محمد الثّبيتي د. ولاء قسم السيد بشير عقيد	٧٨٣

المجنون ناقدًا

النقد الأدبي في رواية العصفورية لغازي القصيبي

دراسة استقرائية تحليلية

Literary Criticism in the Novel Al-Usfouriya
by Ghazi Al-Qusaibi
An inductive Analytical Study

د. صالح بن عويد الحربي

أستاذ مشارك في كلية اللغة العربية في الجامعة الإسلامية

البريد الإلكتروني: Saleh113@gmail.com

الملخص:

يستعرض هذا البحث الآراء النقدية التي نثرها غازي القصبي . رحمه الله . في روايته العصفورية، والتي استطاع فيها القصبي أن يأخذ قارئه في سياحة ثقافية فريدة، تناولت قضايا أدبية وفكرية وتاريخية ولغوية واجتماعية وسياسية، متنقلاً به بين الشرق والغرب، والقديم والحديث بأسلوب شائق شديد الطرافة، مفعم بالسخرية.

ويهدف البحث إلى دراسة الآراء النقدية والأدبية التي وضعها القصبي على لسان بطل الرواية. وذلك من خلال معرفة الدافع لاستخدام هذا النمط الساخر في التعبير عن الآراء النقدية والأدبية، وتصنيف هذه الآراء المتناثرة، والتي تأتي عرضاً ضمن الحوار الطويل المتصل في ثنايا الرواية، وعلى لسان بطلها الأوحـد البرفسور "بشّار الغول".

وقد صنفـت الآراء المتفرقة في جنبات الرواية تحت ثلاثة مباحث، أولها: آراءه في الأدباء العرب، والثاني: آراءه في الأدباء الغربيين، والثالث: يستعرض آراءه في القضايا العامة. وانتهت إلى تحليل هذه الآراء، والكشف عن دلالاتها العامة، وفق منهج وصفي تحليلي.

كلمات مفتاحية: النقد الأدبي، خطاب الجنون، غازي القصبي، السخرية.

Abstract

This research reviews the critical opinions published by Ghazi Al-Qusaibi – may Allah have mercy on him - in his novel Al-Usfouriyyah. Al-Qusaibi was able to take his reader on a unique cultural tourism, which dealt with literary, intellectual, historical, linguistic, social and political issues, moving between East and West, ancient and modern in a very interesting style, full of fun.

The research aims to study the critical and literary opinions put by Al-Qusaibi in the words of the protagonist. This is done by knowing the motive for using this satirical style in expressing critical and literary opinions, and categorizing these scattered opinions, which come within the long dialogue connected in the folds of the novel, and by its sole protagonist, Professor “Bashār Al-Ghoul”.

The disparate opinions on the sides of the novel were classified under three topics, the first of which: his views on Arab writers, the second: his views on Western writers, and the third: reviews his views on general issues. It ended with analysing these opinions, and revealing their general implications, according to a descriptive and analytical method.

Keywords: Literary criticism, the discourse of madness, Ghazi Al-Qusaibi, ridicule.

المقدمة

تعد رواية العصفورية لغازي القصصي إحدى أشهر رواياته وأكثرها تداولاً بين القراء، وهي رواية تحمل اسم مستشفى المجانين الذي يقع في لبنان، على مشارف العاصمة بيروت في منطقة تسمى العصفورية. ولذا حمل المستشفى اسمها. وقد نالت الرواية حظاً وافراً من مدائح النقاد، وكثيراً ما برز اسم الرواية ضمن المختارات الروائية أو قوائم الكتب الأكثر مبيعاً. فقد صنفت ضمن أفضل مئة رواية عربية لعام ٢٠٠١^(١) وهي بكل حال "نموذج متقدم وغير مسبوق في رواية الفنتازيا العربية"^(٢). رغم اقتصرها على مشهد واحد ممتد، وبطل واحد يكاد ألا يتوقف عن الحديث. وقد لا يفاجأ القارئ بالأسلوب الساخر الذي اتبعه غازي القصصي في هذه الرواية، فالقصصي يميل إلى هذا النوع من الكتابة في العديد من رواياته، وقد عرفه القارئ ساخراً في رواياته: سبعة^(٣)، ودنسكو^(٤)، وأبو شلاخ البرمائي^(٥)، وغيرها. ولكن المميز في هذه الرواية؛ هو حملتها الثقافية العالية، التي تطوف بالقارئ في رحاب الثقافة قديمها وحديثها، وعربيه وعالميه، ما يتعلق منها بالأدب، وما لا يتصل به. إضافة إلى أنها عبارة عن حوار متصل طويل بين البرفسور "بشار الغول" نزيل المستشفى وطبيبه المعالج، فيما يتولى الحديث دائماً البرفسور المجنون، الذي لا

(١) ينظر على سبيل المثال: أفضل الروايات العربية | أفضل ١٦ رواية عربية تستحق القراءة (secretsgate.com)

(٢) نزيه أبو نضال، التحولات في الرواية العربية (الدار العربية للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤) ١١٤

(٣) ينظر: دار الساقى، بيروت. ١٩٩٨.

(٤) ينظر: دار الساقى، بيروت ٢٠٠٠

(٥) ينظر: دار الساقى، بيروت ٢٠٠٠

يترك شأننا ثقافياً أو سياسياً أو اقتصادياً إلا وتحدث فيه؛ خالطاً العقل بالجنون، والحقيقة بالخيال.

في حديث البرفسور المتواصل نجده يتطرق إلى عدد من القضايا الأدبية، كما يعرض لطائفة كبيرة من قدماء الأدباء ومحدثيهم، موزعاً أحكامه وسخريته، في حديث متواصل يتدفق على لسان هذا البرفسور المجنون، متخذاً من الجنون عذراً للمبالغة أو السخرية أو الانتقاد. إلا أن القارئ لن يفوته ملاحظة روح القصصي التي تختبئ خلف هذه الشخصية الغريبة؛ لتطلق العنان لعدد من الآراء النقدية في كثير من القضايا الأدبية، القديمة أو المعاصرة.

يحاول هذا البحث أن يتقصى هذه الآراء النقدية التي اتخذت من الرواية رداءً، ومن الجنون قناعاً. مسائلاً عن الدافع الذي حفز القصصي ليعبر عن هذه الآراء على لسان المجنون. ومحاولاً استكشاف الاتجاهات العامة التي تنتظم فيها آراء المجنون النقدية، على الرغم مما يشوبها من مبالغة وسخرية وخلط للواقع بالخيال. ودراستها وفق منهج وصفي تحليلي، لعله الأنسب في الكشف عن آراء نقدية، أتت في خطاب غير نقدي، وبأسلوب ساخر، على لسان متحدث مصاب بالجنون.

إن خطاب الجنون والأدب الساخر بشكل عام؛ أحد المواضيع التي نالت حظاً وافراً من الدراسة الفكرية والأدبية في العصر الحديث^(١). وإذا كان القصصي قد اختاره

(١) ينظر على سبيل المثال: ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ت سعيد بنكراد، بيروت، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٦، والزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، القاهرة: منشورات المجلس الأعلى للثقافة، طباعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط١، ٢٠٠٠، ومحمد السمان، خطاب الجنون في الثقافة العربية، رياض الريس للنشر، ط١، ١٩٩٣.

النقد الأدبي في رواية العصفورية لغازي القصبي-دراسة استقرائية تحليلية، د. صالح بن عويد الحربي

واعياً ليكون الفضاء الذي تتحرك فيه الرواية، فقد أصبحت شخصية الجنون معبراً للعديد من الآراء التي ربما كان من الصعب التعبير عنها خارج هذا الخطاب.

كما أن القصبي نفسه؛ هذا الشاعر المتميز، والسياسي العريق، والمسؤول ذو المناصب المتعددة؛ لم يكن من السهل على مثله أن يتناول كثيراً من المواضيع التي عرضت لها الرواية، في خطاب جاد أو مقال مباشر. ولذا كان قناع الجنون وشخصية البرفسور الجنون، بحديثه الذي يخلط الواقع بالخيال والعقل بالجنون، هو الأقدر على ملامسة المواضيع التي ربما لم تكن مكانة القصبي، ولا اهتماماته البحثية قادرة على ملامستها، والحديث عنها، والتعبير بكل جرأة عن آرائه فيها.

إن تجربة القصبي الروائية بكل تجلياتها؛ خليفة بالتأمل والدراسة، إلا أن العصفورية تبدو الأكثر ثراءً في المضمون الثقافي والأدبي، وهو ما جعل عدداً من الدراسات الأكاديمية المحكمة تقوم بدراسة هذه الرواية، من هذه الدراسات: (خطاب الجنون: قراءة في رواية العصفورية)^(١) وهي دراسة تركز على العلاقة بين الذات والآخر، يدرس الباحث فيها صورة الغري كما يعرضها غازي القصبي في روايته، كما أنها تعرض لنقد العقل العربي، ونقد العقل الغري كذلك. ومنها أيضاً: (تمثيلات الجنون في خطاب القصبي الروائي: العصفورية، وأبو شلاخ البرمائي، والزهايمر نموذجاً)^(٢) ركزت هذه الدراسة على خطاب الجنون، محاولة الكشف عن أثر المكان الجغرافي الذي هو العصفورية، والمكان الكبير الذي هو الوطن العربي. بينما كانت دراسة حصّة المفرح بعنوان (خطاب الجنون في رواية العصفورية لغازي القصبي، مقارنة

(١) عدنان محمود عبيدات وزهير محمود عبيدات (خطاب الجنون: قراءة في رواية العصفورية)

المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج ٧، ع ٤٤، أكتوبر ٢٠١١، ص ٢٦٧-٢٩٧.

(٢) ضياء الكعبي (تمثيلات الجنون في خطاب القصبي الروائي: العصفورية وأبو شلاخ البرمائي والزهايمر أنموذجاً) مجلة البحرين الثقافية، ع ٨٦، أكتوبر ٢٠١٦.

في الحجاج^(١) وفيها حاولت الباحثة مقارنة هذا النص مقارنة حجاجية من خلال درس وسائل الحوار والإقناع والحجج التي استخدمت في حوارات الرواية، ومن آخر هذه الدراسات (حوار الأفتنة في رواية العصفورية للروائي غازي بن عبد الرحمن القصيبي، دراسة سيميائية)^(٢) وهي دراسة تهتم بالعلامة والرمز وفق المنهج السيميائي بهدف الوصول إلى جوهر الفكرة المركزية التي يدور حولها حوار الأفتنة في هذه الرواية. ولم أجد دراسة تناقش الآراء النقدية الكثيرة المنتشرة في ثنايا هذه الرواية، وهذا ما يحاول هذا البحث أن يضيف فيه جديداً.

ولأن هذه الآراء جاءت منتشرة في صفحات الرواية بشكل عشوائي، لا يكاد ينتظمه منطق، فكان من الواجب كذلك محاولة وضع خريطة عامة تدرس من خلالها هذه الآراء المتفرقة، ولذا جاء البحث مقسماً على ثلاثة مباحث: الأول: ما يتعلق بالأدباء العرب، وهو القسم الأكبر في الرواية، فشخصية بطل الرواية ونرجسيته المفرطة تجعله يركز على الأشخاص في أحكامه، كما أن علاقاته الغريبة التي امتدت بطول العالم العربي تجعله على صلة بأكثر مشاهير الأدب العربي، الأحياء منهم والأموات - كما يزعم-، بل إنه يصبح قادراً -تحت غطاء الجنون- على ادعاء صداقة المتنبي والمعري وغيرهما ممن توفي قبل قرون عديدة. والثاني ما يتعلق بالأدباء الغربيين، وهم قلة مقارنة بالأدباء العرب، والثالث: ما يتعلق بالقضايا الأدبية، والأحكام النقدية التي كان الكاتب يطلقها على لسان المجنون.

(١) حصّة المفرح (خطاب الجنون في رواية العصفورية لغازي القصيبي، مقارنة في الحجاج) مجلة

كلية الآداب بالقاهرة، مج ٨١، ع ٢، يناير ٢٠٢١.

(٢) جمال علي يوسف (حوار الأفتنة في رواية العصفورية للروائي غازي بن عبد الرحمن القصيبي، دراسة سيميائية) مجلة جامعة الشارقة للعلوم الانسانية والاجتماعية مج ١٩ ع ٤ (٢٠٢٢)

كما أحب أن أشير إلى أنه لا يبدو من المجدي محاولة البحث عن مبررات للأحكام النقدية التي يطلقها بطل الرواية، فشخصيته النرجسية، وثقته المفرطة، إضافة إلى طبيعة الرواية الساخرة، وإيقاعها السريع يجعل من المتعذر على القارئ أو الناقد الوقوف على مبرر نقدي يستحق الدراسة، كما أن تصريحه بميله إلى النقد الانطباعي؛ يجعل القارئ على بينة من هذه المواقف النقدية، التي كان سببها الذوق الخاص للبرفسور، وللمؤلف غازي القصبي، الذي كان يخبئ خلف هذه الشخصية، ليعبر بحرية وانطلاق عن آرائه ومواقفه.

إلا أننا لانعدم أحيانا عدداً من التبريرات النقدية، خاصة ما فصله البرفسور في تعليقه على بعض الشخصيات الأدبية أو تحليله لبعض الأبيات الشعرية. والمبررات التي جاءت في ثنايا حديث بطل الرواية إن وجدت فهي غالباً مبررات ساخرة، تناسب سياق الرواية وجوها العام. وبهذا كان المنهج الوصفي التحليلي أكثر مناسبة -فيما يظهر- في التعامل مع هذه الآراء النقدية المجتزأة المتناثرة، والتي جاءت في سياق غير عقلاني.

التمهيد

يندرج خطاب الجنون بالصيغة التي استخدمها غازي القصيبي والآلية التي عالج بها شخصيات روايته ضمن الأدب الساخر. فهو يتناول كل ما يعن له من قضايا سياسية واقتصادية واجتماعية وأدبية تقريباً بطريقة ساخرة. تعفيه من صياغة خطاب منطقي يهدف إلى إقناع القارئ برأيه، أو يشرح له أسبابه أو يبين حشياته. كما تسمح له بالخروج من النقد الأدبي إلى النقد الشخصي، ومن الأحكام المعقولة إلى الآراء التي لا يقبلها عقل. إلا أن هذه الطريقة تصبح هي الجسر الذي يوصل الكاتب من خلاله أفكاره ورؤاه في سائر الموضوعات التي تطرق لها، أو الشخصيات التي عرض لذكرها، بطريقة لا تحمله تبعة هذه الأحكام.

وليس القصيبي فريداً في استخدام الجنون لعرض العديد من الآراء في نتاجه الأدبي، فقد حفل الأدب العالمي والعربي بالعديد من النماذج التي جعلت من الجنون منطلقاً لمناقشة القضايا الفكرية والفلسفية، بل ترى رشا الصبح أن دور الجنون في غالب السياقات الأدبية دور فلسفي، "فالجنون فيلسوف يرتدي قناعاً" (١)

وقد تمكن القصيبي باستخدام هذه السخرية من شد انتباه القارئ، وزيادة متعته في قراءة الرواية. كما أنه يتيح للكاتب القدرة على التنقل بين المواضيع المختلفة، والآراء المتناقضة، دون الحاجة إلى تبرير. فالجنون لا يحاسب على كلامه كما أنه لا يلتزم بمنطق العقلاء، ولا طريقتهم في إثبات الأمور أو نفيها. ولذا جاءت الرواية فريدة في بنيتها، فهي رواية تكسر القالب التقليدي للروايات، إذ اقتصرت على حوار واحد طويل، وفي شخصياتها الرئيسة؛ إذ لم تتجاوز بطل الرواية البرفسور الجنون الذي لا يكاد يتوقف عن الحديث، وطبيبه الذي اقتصر دوره على المشاركة في الحديث من

(١) رشا الصبح (الجنون في الأدب) عالم الفكر، مح ١٨، ع ١، ١٩٨٧، ص ٤

النقد الأدبي في رواية العصفورية لغازي القصبي-دراسة استقرائية تحليلية، د. صالح بن عويد الحربي

خلال أسئلة متفرقة وتعليقات يسيرة. وجاءت الرواية كذلك فريدة في بيئتها إذ لم تكن غير غرفة البرفسور المجنون في مصحة الأمراض العقلية.

ورغم هذا، استطاع القصبي من خلال هذا الحوار أن يطوف بالقارئ في أسلوب لا تنقصه الطرافة، في شتى المواضيع والقضايا التاريخية والأدبية والسياسية والاجتماعية وغيرها، مما يندر أن يجتمع في رواية واحدة. ولا يجد القارئ أن الكاتب قد أثقل عليه أو أنه قد أقحم في الرواية ما لا يناسبها. فأسلوب الكاتب رغم زحام الأفكار والقضايا لا ينقصه التشويق. ولعل هذا عائد إلى تأثير شخصية المجنون، التي تفاجئ القارئ بما لا يتوقعه.

يتخذ خطاب الجنون معاني عدة في السياق اللغوي العربي، ولكن أبرز معانيه وأكثرها إثارة هو السُتْر، فالجنون لغة مشتق من الفعل الثلاثي (جنن)، وله عدة معانٍ من أهمها الستر، يقال جن الشيء يجنه، جنّاً: أي ستره، وكل شيء سُتر عنك فقد جُنَّ عنك، وسمي الجن بهذا الاسم لاستتارهم، ويقال: جنّ الليل وجنانه عندما يشار إلى شدة ظلمته التي تستر ما فيه عن الأبصار، قال الله تعالى (فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً) ^(١) ويطلق على الولد في بطن أمه جنين لأنه مستور. والجنن - بالفتح - هو القبر لستره الميت، ويطلق على الكفن لنفس المعنى ^(٢).

فمعنى الستر معنى مشبع في أصل كلمة الجنون، ولعل خفاء حال المجنون وجهل الناس بحقيقة حاله هي الداعي إلى إطلاق هذا الاسم عليه. وهو ما يقودنا إلى نقطة الانطلاق مع أول الأسئلة التي تثيرها هذه الورقة، وهو سؤال الدافع. فما الذي دعا

(١) سورة الأنعام آية ٧٦

(٢) لسان العرب: مادة جنن

القصبي في هذه الرواية لاتخاذ الجنون قناعاً، يستتر خلفه، ويعرض من ورائه الأفكار، والآراء النقدية، والأدبية، والتاريخية؟

ولعل هذه الورقة ترجح إجابة على هذا السؤال عدداً من الأسباب، أولها: أن القصبي يعد أديباً مختلفاً؛ فقد كان إضافة إلى مشاركته في كثير من الفنون الأدبية وكونه أحد أبرز الأسماء الأدبية في أدبنا السعودي؛ واحداً من أعلى الأدباء السعوديين منصباً إدارياً، إذ تسنم عدداً من الوزارات في أزمنة مختلفة، كما كان سفيراً في عدد من أهم العواصم العربية والعالمية. وهو ما قد يجعله غير قادر على التصريح ببعض آرائه الأدبية أو السياسية أو الاقتصادية وغيرها. فالحرية التي قد تتاح للأديب الحر لن تكون متاحةً للأديب الذي يتولى منصباً رفيعاً.

أما السبب الثاني الذي قد يكون دافعاً القصبي لاتخاذ الجنون قناعاً يعبر من ورائه عن هذه الآراء النقدية والأدبية على وجه الخصوص، فهو اختلاف التخصص. فالقصبي لم يعد نفسه يوماً ما ناقداً محترفاً، رغم إصرار بعض النقاد على عده ناقداً موهوباً^(١)، بل كان حريصاً على نفي هذه الصفة في محاضراته النادرة التي تناولت الشأن الأدبي والثقافي^(٢) وبالتالي قد لا يجد الفرصة التي يعبر فيها عن آرائه النقدية خاصة الحادة والساخرة منها، التي حفلت بها روايته العصفورية. ومن هنا كان خطاب المجنون الذي ابتداءً منذ مطلع الرواية حتى خاتمتها هو فرصة القصبي للانطلاق في الحديث عن أي موضوع أدبي أو نقدي وبكل طريقة أحب. فالخطاب كله للمجنون وليس على المجنون حرج.

(١) ينظر: مجلة الإمامة (alyamamahonline.com)

(٢) ينظر: غازي القصبي، الغزو الثقافي ومقالات أخرى (المؤسسة العربية للدراسات والنشر،

بيروت، ط ٣. ٢٠١١) ٢٦

ولتدفق الحديث على لسان المجنون بشكل يكاد أن يكون متصلاً، ولحرية المجنون شبه الكاملة في إدارة دفعة الحديث؛ من قديم إلى حديث، ومن شرق إلى غرب، جاءت الرواية كبيان أدبي وثقافي طويل، حشد فيه القصبي كل ما أراد التعليق عليه، أو السخرية منه. وهذا ما لاحظته الدكتور منصور البلوي على هذه الرواية، إذ يقول معلقاً على تفرد الشخصية المحورية في هذه الرواية - البرفسور بشار الغول- بالحديث " وهذا مما يؤخذ على بعض الروائيين، ومنهم القصبي، إذ إنهم يحاولون إيهام القارئ أنه أمام أصوات متعددة، والحقيقة أن الصوت واحد، وزاوية النظر واحدة، وإن تعددت الشخصيات"^(١).

وأخيراً، فحرية المجنون تتيح للقصبي الانطلاق في الحديث عن شتى المواضيع، دون الحاجة إلى حشد أدلة علمية أو محاولة إقناع القارئ بحكم نقدي. فالكاتب حر في اختيار القضايا التي يريد، وحر في ترتيبها، والقفز بينها كما يشاء، وهو حر كذلك في خلط النقد الشخصي بالأدبي، والأحكام التاريخية بالخرافات.

(١) منصور البلوي، الاستهلال السرد في الرواية السعودية المعاصرة (الدار العربية للعلوم

ناشرون، بيروت، ٢٠١٦) ١٤٤

المبحث الأول: الأدباء العرب

عكس هذا الحشد الكبير من الأسماء الأدبية العربية قديمها وحديثها الذي حفلت به الرواية ثقافة القصصي الأدبية العالية، وعلاقته الوطيدة بالأدب والأدباء، قراءةً واطلاعاً، ومعرفةً شخصيةً في بعض الأحيان.

ولعل أقدم شخصية تعرض لها هو سحيم عبد بني الحسحاس^(١). والقصصي ذو اهتمام بالشخصيات التاريخية، إذ تظهر كأيقونات أدبية يبني حولها قصائد كاملة أحياناً كما فعل في قصيدته "الفرسان" التي اتكأ فيها على عدد من الفرسان منهم: عنزة العبسي ومصعب بن الزبير وطارق بن زياد، والتي سماها: "مسرحية من نوع ما".^(٢)

ولكنه لم يول أحداً من هذه الشخصيات ما أولاه لسحيم إذ ألف حوله ملحمة شعرية طويلة، وضمنها ديواناً مستقلاً عنونه باسمه، محاولاً تخليد أسطوره ومعالجة أحداثها من وجهة نظره الخاصة.^(٣) ولكنه في هذه الرواية يأتينا على شكل آخر ففي سياق حديثه عن ضرر الألسن على الناس، يذكر الشعراء الذين قتلهم ألسنتهم، ومنهم عبد بني الحسحاس هذه القبيلة المغمورة التي لم تدخل التاريخ إلا بسبب شاعرها وعبدها سحيم^(٤). والذي يصفه بأنه كان زنجياً وسيماً جداً، وشاعراً ممتازاً. ويختصر حكاية سحيم مع قبيلته والتي انتهت بحرقه وقتله لتغزله بنساء القبيلة. وهي

(١) ينظر: العصفورية ٣٧

(٢) غازي القصيبي، ورود على ضفائر سناء (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٦) ٤١

(٣) ينظر: غازي القصيبي، سحيم (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٦)

(٤) ينظر: العصفورية ٣٧

النقد الأدبي في رواية العصفورية لغازي القصبي-دراسة استقرائية تحليلية، د. صالح بن عويد الحربي

حكاية لا تخلو من لمحات ساخرة في ثنايا عباراته. فهو يزعم أن بني الحسحاس كانوا حساسين بعض الشيء ولذا سمو بهذا الاسم.^(١) ويعلق على بيت سحيم الذي يصف فيه إحدى بنات القبيلة إذ يقول:

كأن على أنيابها بعد هجعة من الليل نامتها سلافا مبردا^(٢)

قائلاً إنه "بيت دراكيولي بعض الشيء"^(٣). وهو انتقاد مضمحل لصياغة البيت التي استخدمت كلمة الأنياب التي تلائم الافتراض لا الغزل.

إلا أنه يختم القصة بإشادة واضحة بالبطولة التي روتها كتب الأدب عن مشهد الإعدام الأخير الذي واجهه الشاعر سحيم بكل شجاعة، مهاجماً بشعره قاتليه حتى نفسه الأخير، وهو يقول على لسان بطل القصة "تصور! لو كان خواجه لأنتجت عنه هوليود عدة أفلام. أليست هذه قصة مثيرة؟ شاعر يحترق وهو يعيرهم بفتاتهم"^(٤). والحديث الذي تحدث به بطل الرواية المجنون عن سحيم الشاعر بمجمله يوحي بنبرة إعجاب حقيقي بحكاية الشاعر وتغلبه على ظروف العبودية، ولثغة اللسان، واستخدامه الشعر سلاحاً قاتل به حتى آخر رمق. وهو ما ترجمه إخراج القصبي لديوانه سحيم؛ في نفس السنة التي خرجت بها رواية العصفورية، وهو عام ١٤١٦ / ١٩٩٦.

ولكن الأكثر حضوراً من أدبائنا المتقدمين على لسان البرفسور المجنون بطل الرواية هو أبو الطيب المتنبي. وهو يسميه أحياناً بأبي حصيد وأحياناً أخرى بأبي حميد.

(١) بنظر: السابق ٣٨

(٢) ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، ت الأستاذ عبدالعزيز الميمني (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩١) ٤٠

(٣) السابق ٣٨

(٤) السابق ٣٨

وهو يعلل تكتيه بأبي محسد بأنه كان يخاف من الحسد، ويسميه البرفسور بدلاً من ذلك أبا حسيد.^(١) بينما هو أبو حميد لأن اسمه أحمد.^(٢) وهو يروي أنّ المتنبي أخبره أن سيف الدولة الحمداني كان حاسداً له. ويذكر أن سبب الجفوة التي حدثت بينهما إنما هي لأن المتنبي صارحه بتواضع أبياته وضعف موهبته الشعرية. وهو لا شك تفسير ساخر للأحداث التي أخرجت المتنبي من بلاط سيف الدولة بعد صحبتها الطويلة. وفي سياق حديثه عن حكاية المتنبي مع سيف الدولة لا يفوت الراوي الإشارة إلى ابن عم سيف الدولة الشاعر الشهير أبي فراس الحمداني، قائلاً عنه أن سيف الدولة فضل الاحتفاظ بجارية رومية أحبها وكان يستطيع أن يفتدي بها ابن عمه "الثرثار الذي جلب الصداق إلى الإنس والجن بكثرة استعطافه وكلامه مع الحمام مثل المجانين".^(٣) وهو هنا يشير إلى قصائد أبي فراس التي نظمها في أسره وكانت من أروع قصائده وأجملها، ومنها قصيدته التي يخاطب فيها الحمام قائلاً:

أَقُولُ وَقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبِي حَمَامَةٌ أَيَا جَارَتَا هَلْ بَاتَ حَالُكَ حَالِي^(٤)

وفي سياق حديثه عن مكتب الحمامة الذي أنشأه البرفسور والذي كان متخصصاً في أغرب القضايا، يذكر الراوي أن ثمة قسماً أسماه قسم السرقات الأدبية، "وأنشط زبائن هذا القسم هو المتنبي، وهو زبون متعبد كثير الطلبات".^(٥) وهو يطالب بكل (شرهاء) تعطي لأي شاعر والشرهاء هي الإكرامية منذ أن قال:

(١) ينظر: السابق ٢٣

(٢) ينظر: السابق ٤٦

(٣) السابق ٢٤

(٤) ديوان أبي فراس الحمداني ت سامي الدهان (المعهد الفرنسي بدمشق، بيروت، ١٩٤٤)

٣٢٥/٣

(٥) العصفورية ٤٦

أجزني إذا أنشدت شعرا فإنما بشعري أذاك المادحون مرددا^(١)
وهو يطالب بكل (شرهاء) من كل حاكم تعطى مقابل قصيدة مدح. وأبو
حسيد مزعج جداً وهو "بالإضافة إلى كثرة طلباته كذاب أولمي"،^(٢) ويفسر خلافه مع
كافور الإخشيدي أن أخت كافور عشقته ويسميتها شجرة القار^(٣) إشارة إلى لوئها،
وقد وافق أبو الطيب على الزواج منها مقابل الولاية التي وعد بها كافور، ولكن
المتنبي استشاط غضبا حين رأى ولاية صغيرة لا تليق به، وطلق أخت كافور ونشب
الخلاف.^(٤)

وهو يرى أن "أبا حسيد كان يكره السود، وكان يكره بصفة خاصة العبيد".
ويستشهد بعدة أبيات من شعر المتنبي وكان أعظم مقلب دبره للعبيد هو بيته الشهير:
لا تشتري العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد^(٥)

"ومنذ ذلك الوقت وحتى إلغاء سوق النخاسة في الأسبوع الفارط لم يكن أي
عبد يباع إلا ومعه عصا هدية تقدم للمشتري مجاناً كما تقدم البطارياء مع لعب
الأطفال"^(٦). حتى أطبقت عليه فرقة الصاعقة التابعة لضبة بقيادة أمه الطرطبه،
و"بقي أبو حسيد في جفن الردى وهو يظن أنه نائم وتبين أن الردى مستيقظ وراح

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري ت مصطفى السقا وآخرون (القاهرة،
مطبعة البابي الحلبي، ١٩٧١)

(٢) السابق ٤٦

(٣) السابق ٤٦

(٤) السابق ٤٦

(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي ٢ / ٤٣

(٦) العصفورية ٤٨

أبو حصيد وطي" (١).

وحين يستشهد بيت البحري الذي يقول:

إِذَا مَحَاسِنِي اللَّاتِي أُدِلُّ بِهَا كَانَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَدُرُ

يسارع إلى نفي البيت عن المتنبي قائلاً لا لم يقل أبو حصيد هذا، وكيف يقوله وهو لا يتصور مجرد تصور أن هناك من يرى فيه أية عيوب (٢). ، الرواية تبين علاقة خاصة بين المؤلف والمتنبي فهو أكثر الشعراء حضوراً في ثنايا الرواية، ولا تكاد أن تمر عدة صفحات إلا ويستشهد ببيت من شعره. وهو حضور وإن أخذ شكل السخرية والاستهزاء في شخصية المتنبي وبعض أبياته؛ إلا أنه يبين مكانة المتنبي لدى المؤلف وحضور أبياته ومعانيه في ثنايا كلامه بشكل لا ينافسه فيه شاعر آخر.

ولكن حضور الأدب الحديث بقضايا وأدبائه بشكل عام هو الأكثر بروزاً. فالمؤلف يبين عن اهتمام مميز بالأدباء المحدثين، فنجد الشعراء كأحمد شوقي وحافظ إبراهيم وعزيز أباظه وأحمد رامي ومحمد مهدي الجواهري وغيرهم، بينما نجد من الكتاب مصطفى لطفى المنفلوطي وطه حسين والعقاد والرافعي وجبران خليل جبران ومي زيادة وإحسان عبد القدوس وغادة السمان وغيرهم. وقد وردت هذه الأسماء غالباً في سياق ساخر لكنها تدل على اطلاع واضح على أبرز القضايا الأدبية، وتواصل أدبي مميز مع المحيط الثقافي. وهي لم تخل من إشارات نقدية تستحق الإشارة إليها. فأحمد شوقي والذي يدعوه أحياناً بالبرنس (٣) هو أمير الشعراء الأحياء منهم

(١) السابق ٤٨ وجفن الردى إشارة إلى بيت المتنبي في مدح سيف الدول:

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم

(٢) السابق ٥٦

(٣) ينظر: السابق ٣٥

النقد الأدبي في رواية العصفورية لغازي القصبي-دراسة استقراية تحليلية، د. صالح بن عويد الحربي

والأموات الرجال منهم والسيدات. وهو وصف ساخر سرعان ما يعقبه بقوله إنه كان يدعوه بالبرنس رغم علمه بتفضيل شوقي للقب الآخر ليغيظه^(١). وحين يمدح شوقي نابليون يسأله بطل الرواية ساخرا إن كان نابليون قد أنعم عليه بلقب الكونت؟ فينفجر شوقي غيظاً، لأنه كان (نرفوزا) وهي أحد مراتب الغضب كما يزعم. لكنه يعقب كذلك بأن شوقي لم يكن يحسن إلقاء الشعر ولذا كان ينيب غيره لإلقاء شعره، وهي معلومة صحيحة^(٢).

وفي موضع آخر يتحدث عن الذكريات "التي قال عنها البرنس: والذكريات صدى السنين الحاكي، وهي من عيون شعر البرنس، تستطيع أن تقول إنها من عيون الشعر العربي عموماً"^(٣). وهو يرى أن شوقي لم يزر زحلة التي نظم هذه القصيدة عنها سوى في زيارات خاطفة ومع ذلك يتحدث عنها كمن قضى زهرة شبابه فيها. وهو يشك أن فتاة لبنانية يمكن أن تعجب بأمر الشعراء فاللبنانيات "لا يعهد عنهن الوقوع في غرام الشعراء خاصة إذا كان هذا الشاعر قصير القامة أصلع الرأس جاحظ العينين، حتى لو كان برنس الشعراء... والبرنس على كل حال لم يكن بالرجل الجذاب لا شكلاً ولا حواراً"^(٤).

وكذلك يسوق الحديث عن حافظ إبراهيم، فهو يتعرض لغزله في الغادة اليابانية التي قال فيها:

صفرة تنسي اليهود الذهباً^(٥)

ذات وجه مزج الحسن به

(١) ينظر: السابق ٣٦

(٢) ينظر: السابق ٣٥

(٣) السابق ١٥٨

(٤) السابق ١٥٩

(٥) ديوان حافظ إبراهيم (المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧) ٢ / ٨

فيعلق البرفسور محذراً الشاعر، "احذر اللاسامية قال: وما اللاسامية قلت كراهية اليهود قال أنا لا أكره اليهود ولا أكره الذهب"^(١).

وحافظ إبراهيم أحد الذين يرى البرفسور أنهم مصابون بعقدة الخواجة، وهو يرى أنها عقدة شائعة، ومن أصيب بها الطهطاوي والشيخ محمد عبد وطه حسين وغيرهم.^(٢) وهي عقدة لا تقتصر على العرب، بل نجدها في جميع الشعوب، ولكنها تظهر لدى كثير من الأدباء العرب خاصة أولئك الذين تحافتوا على باريس، ففي باريس التقى بطل الرواية أحمد شوقي وأحمد رامي والجواهري وأدونيس وتطرح معهم الشعر والقضايا الأدبية. ولكنه يرى أن كل الذين لقيهم من العرب في باريس كانوا يخربطون بالفرنسية، لم يحسنها منهم أحد^(٣). وحين يعرض لرشدي أباطه الذي كان باشا حقيقياً، ولكنه كان شاعراً غير محظوظ، فلم يصل المكانة التي يستحقها شعره.^(٤)

ويعرض البرفسور في أحد استطراداته لمي زيادة وصالونها الذي كان يزدحم عليه المثقفون حتى أن "القاضي العجوز الوقور أحمد صبري أصابه الفيروس فلم يكن يعيش إلا من أجل يوم الثلاثاء، يوم صالونها الأدبي. وقال في ذلك شعرا:

إن لم أمتع بمي ناظري غدا أنكرت صبحك يا يوم الثلاثاء"^(٥)

(١) السابق ٢٩

(٢) ينظر: السابق ٢٩

(٣) ينظر: السابق ٤١

(٤) ينظر: السابق ٣٦

(٥) السابق ٢١

"فأدباء مصر وشعراؤها كافة أحبوا مي بدون أي استثناء"^(١). وقد ألف هؤلاء ما لا يعد ولا يحصى من القصائد والخواطر والروايات عن مي، وهو يقول "لا أعتقد أنه وجدت في التاريخ كله قبلها امرأة ألهمت هذا الحشد الهائل من المبدعين"^(٢). وفي موضع آخر يقول إنها أطلقت ألف ديوان شعر^(٣). ولكنها كانت أيضا "تعاني من عقدة الخواجة ولذا لم يعجبها كل عتالة مصر. أرادت واحداً من بلاد بره. من نيويورك. عشقت جبران خليل جبران"^(٤). ولكن جبران لم يحبها لأنه هام حبا بالأمريكيات والفرنسيات^(٥).

ويعرج في هذا السياق على العقد الذي يرى أنه كان رجلاً عظيماً، ولكنه مغرور جداً وكان يعتقد أن مي لم تحب سواه. ولا ينسى أن يصدر بعض الآراء النقدية حين يقول إن العقد أصدر عشرين ديواناً، ولكنه رغم ذلك لم يحفظ إنسان شيئاً من شعر العقد. ثم يذكر أن العقد "لم يكن محظوظاً في الشعر والدنيا حظوظ"^(٦)، ويذكر كذلك أن العقد حين وجد أن مي لم تبادله الحب انتقم منها بكتابة روايته الوحيدة سارة. حيث سمى ميّاً في الرواية هنداً، وأهمّلها إهمالاً تاماً، وهام حباً في سارة^(٧).

(١) السابق ٢١

(٢) السابق ٢١

(٣) ينظر: السابق ٢٥

(٤) السابق ٢٥

(٥) ينظر: لسابق ٢٦

(٦) السابق ٢٢

(٧) ينظر: السابق ٢٢

وحين يتحدث عن طه حسين يصفه بأنه كان "رجلاً عظيماً، ولكنه كان عنيداً. وكان شكاكاً"^(١). وهو يزعم أن لطه حسين كتاباً اسمه (في الشعر الجاهلي) وينحله فيه نصاً طويلاً ساخراً يكثر فيه من التكرار والإعادة وتزويق الكلام؛ سخرية بأسلوب الدكتور طه حسين، فهو يسرد أسطراً طويلة لا تخرج منها إلا بفكرة أو اثنتين^(٢).

أما مصطفى صادق الرافعي فلم يصفه بأنه رجل عظيم، ولكنه قال عنه: "كان أديباً موهوباً، يكتب النثر وينظم الشعر. ويحصل على جوائز في الأناشيد الدينية والوطنية"^(٣). وقد ابتلى نفسه بحب مي. وقد كتب عنها كتابين (السحاب الأحمر) و (رسائل الأحزان)، لم يفهما أحد، حتى مي.^(٤) ولا تخفى دلالة وصف الرافعي بأنه يحصل على جوائز في الأناشيد الدينية والوطنية. فكأنما هي وصف لشخص هاوٍ، يحاول المنافسة على كل جائزة مهما كانت تافهة أو مغمورة، ليكسب بعض المال، كما أن وصفه لكتابي الرافعي بأنهما كتابان لم يفهما أحد، هو تعريض للأسلوب المعقد الذي انتهجه الرافعي في هذين الكتابين.

وحين يعرج على المنفلوطي فهو يصفه بأنه أغرب مترجم في التاريخ؛ ترجم ٧ روايات عن الفرنسية وهو لا يعرف حرفاً من الفرنسية^(٥). ويسأل البرفسور طيبه أنا لا

(١) السابق ٢٠

(٢) ينظر: لسابق ١١٣

(٣) السابق ٢٠

(٤) ينظر: السابق ٢٠

(٥) ينظر: السابق ٣٥

النقد الأدبي في رواية العصفورية لغازي القصبي-دراسة استقرائية تحليلية، د. صالح بن عويد الحربي

أعرف الزيفون هل تعرفه أنت؟ فيجيب الطبيب: لا^(١). كما يفترض أن المنفلوطي لو ترجم رواية أحذب نوتردام لسماها على الأغلب محدودب نوتردام^(٢). كما لا يخفي تعجبه من أحمد رامي الذي ذهب إلى باريس ليترجم رباعيات الخيام عن الفارسية وهو لا يفقه الفارسية^(٣).

وإذا تجاوزنا جيل الرواد نجد البرفسور يتناول الشعراء والأدباء الذين برزت أسماءهم لاحقاً، فلا يتوانى عن نقدهم والسخرية منهم؛ فمحمود علي طه خريج صنايع، ولأنه كان شديد الاعتداد بنفسه لقب نفسه المهندس ثم الملاح التائه^(٤) وصلاح عبد الصبور لم يفهمه معظم القراء العرب، ولذا نجح نقدياً، وكل شاعر يكرهه القراء ينجح نقدياً، والعكس بالعكس^(٥). وإحسان عبد القدوس والسباعي كلاهما روائيَان مظلومان من قبل النقاد^(٦). أما غادة السمان فهي مصابة بعادة خطيرة وهي نشر ما يصل إليها من رسائل، والبرفسور يزعم أنها ألقت رواية عنه اسمتها (ليلة الغول)^(٧).

وهذا التطواف بالأسماء الأدبية العربية منذ تاريخها القديم إلى معاصري المؤلف

(١) وهو يشير إلى رواية (تحت ظلال الزيفون) التي ترجمها المنفلوطي عن الفرنسية.

(٢) ينظر: السابق ٣٥

(٣) ينظر: السابق ٣٩

(٤) ينظر: السابق ١٦٣

(٥) ينظر: السابق ٦٦

(٦) ينظر: السابق ٢٨٧

(٧) ينظر: السابق ١٧٢

وزملائه في العصر الحديث، يدل بالدرجة الأولى على الثقافة الأدبية العالية التي يتمتع بها المؤلف، وإطلاعه على الحركة الأدبية العامة في الأدب العربي، واهتمامه بقضاياها وأبرز شخوصه الشعرية والأدبية. كما أن كثافة حضور المعاصرين في هذه الرواية قد يدل على تواصل معرفي متميز مع أكثر الأسماء الأدبية البارزة في العصر الحديث وربما على تواصل شخص حقيقي للمؤلف مع بعضها.

ولكن عدا هذا الاطلاع الواسع، فالموقف الشخصي من كثير من هؤلاء الأعلام لا يكاد يخفى على القارئ، وإعجاب المؤلف ببعض الأسماء وتسميتهم عظماء بينما رأى أن آخرين هم أقل شأنًا، أو انتقاده المباشر لبعض طرحهم الأدبي، أو شعرهم أو رواياتهم أو ترجماتهم أمر واضح كذلك، ويدل على رؤية مستقلة للمؤلف تجاه أدباء عصره على وجه الخصوص.

المبحث الثاني: الأدباء الغربيون

أبدى البرفسور المجنون بشار الغول بطل رواية العصفورية عدداً من الآراء النقدية، والتعليقات الساخرة أحياناً التي بينت رأيه في بعض النتاج الأدبي الغربي. وهذه الإسقاطات التي مارسها القصبي في روايته على لسان بطلها تعبر بشكل واضح عن ثقافة القصبي في الأدب الغربي وآراءه في أشهر رموز هذا الأدب.

ولعل الملاحظة الأولى هي قلة الحديث عن الشعر الغربي في هذه الرواية، فهو كما أغرق الرواية بالحديث عن الشعراء العرب القدماء منهم والمحدثين فقد تجاهل الشعر الغربي إلى حد كبير ولم يكد يذكر أحداً منهم أو يبدي رأياً في شعره. باستثناء مقارنات مقترحة بين المتنبي وشكسبير وردت في حديثه عن حبيبته الأمريكية، دون تعليق جدي عن أوجه الشبه أو الاختلاف بين الشاعرين. واختيارات قليلة عارضة من شعر شكسبير وبايرون وبليك، وباستثناء الديوان الشعري الذي زعم أن الجنرال ديجول كتبه في سائقته الإنجليزية التي أغرم بها.

ولذا اقتصرت تعليقاته على مسرحيات شكسبير وبعض أشهر الأسماء الروائية في الأدب الغربي، وهو ما يذكر بموقف القصبي نفسه من الشعر الغربي والذي صرح به في سيرته الشعرية. فالقصبي رغم اتقانه للغة الإنجليزية وترجمته للعديد من النصوص الشعرية إلا أنه يذكر في سيرته الشعرية أنه لا يستطيع تذوق شعر غير الشعر العربي، ولعل ذلك لتعود أذنه على موسيقى الشعر العربي كما يرى.^(١)

ولعل أكثر الأسماء الأدبية الغربية وروداً على لسان بطل الرواية هو الشاعر الإنجليزي الأشهر شكسبير الذي يرى أن النقاد أهملوه قرنين كاملين، وكانوا يعتبرونه

(١) ينظر: القصبي، سيرة شعرية ٣٦

مجرد مشخصاتي^(١). وقد عرفه بطل الرواية البرفسور المجنون بشار بشكل أكبر عن طريق حبيبته الأمريكية سوزي، فيما عرّفها هو على المتنبي، فأصبحت رسالتها في الماجستير في المقارنة بين الشاعرين^(٢). ولكن البرفسور لا يبدي أي توضيحات لهذه المقارنة فلا نكاد نجد لها مبرراً، إلا أن كلاً من الشاعرين يعد أبرز الأسماء الشعرية في لغته، فهي في حقيقتها نوع من المقارنة الثقافية بين العرب والغرب.

إلا أنه في سياق آخر يعود للحديث عن شكسبير مبينا أنه ألف ستاً وثلاثين مسرحية، غير الأعمال الأخرى. وأروع قصائد شكسبير في نظره هي السوناتات^(٣)، "وأروع مسرحياته، في رأيي المتواضع هي (روميو وجولييت) التي أوحى بآلاف الأعمال الفنية في كل اللغات"^(٤).

ثم ينقل نصاً من هذه المسرحية يقول فيه: "سيدتي! بذلك القمر البعيد المبارك أقسم. القمر الذي يغطي بالفضة قمم أشجار الفواكه. أوه لا تقسم بالقمر. القمر المتغير. الذي يتغير كل شهر في مداره". ثم يرى أن صلاح عبد الصبور ترجم هذا المقطع شعراً حين قال:

آه لا تقسم لي حبي بوجه القمر
ذلك الخداع في كل مساء
يرتدي وجهاً جديداً

(١) ينظر: العصفورية ٦٦

(٢) ينظر: السابق ٦٥

(٣) ينظر: السابق ٦٥

(٤) السابق ٦٥

ويعلق ساخراً: "لا حظ أن شكسبير قال "أوه" في حين قال عبد الصبور "آه" وقد تنبأ أبو حصيد بذلك حين قال: (أوه بديل من قولتي واهاً)^(١) ولهذا سمي المتنبي. لكثرة تنبؤاته لا لادعائه النبوة"^(٢). ورغم السخرية التي علق بها على هذا الموضوع إلا أنها التقاطة جميلة خليقة بالتأمل والمقارنة بين الشعاعين، ومن خلال دراسة مقارنة فاحصة قد نستطيع أن نستكشف هل اقتبس صلاح عبد الصبور من مسرحية شكسبير؟ أم أنها لا تعدو أن تكون توارد خواطر، وتوافقاً في الفكر، مما يسميه النقاد وقع الحافر على الحافر؟

وفي التقاطة فنية بديعة يقف البرفسور مع مسرحية أخرى لشكسبير، وهي مسرحية (عطيل) التي رأى أنها من أجمل مسرحيات شكسبير، إذ يلفته فيها كناية بديعة، استخدمها شكسبير في روايته، يقول البرفسور: "بعد (روميو وجوليت) أعتبر عطيل أجمل مسرحياته. العربي الغيور المور! ابتكك وألمور يصنعان الآن وحشاً بظهيرين"^(٣). وهي كناية ذكية تليق بطفل يشاهد العلاقة الحميمة ويصفها بعقله الطفولي. ويزيد على هذا بأن يذكر بعض الاقتباسات من أعمال شكسبير المسرحية، التي زعم أنه كان يداعب بها حبيبته سوزي، التي كانت ترد عليه بدورها باقتباسات أخرى^(٤). وهذه اللمحات تدل على متابعة جيدة، وإطلاع واضح على أدب شكسبير، وتذوق لبعض الإبداع الأدبي الذي حفلت به.

(١) يشير إلى قصيدة المتنبي التي مطلعها: أوه بديل من قولتي واهاً لمن نأت والبديل ذكرها.

ديوان أبي الطيب المتنبي ٢٦٩/٤

(٢) العصفورية ٦٥

(٣) السابق ٦٦

(٤) ينظر: السابق ٦٦

وفي سياق اهتمامه الواضح بشكسبير وأدبه، وما دار حوله من أخبار؛ يذكر البرفسور شخصية أدبية أمريكية أثارت الكثير من الجدل في كتاباتها حول شكسبير، وهي ديليا بيكون ١٨١١-١٨٥٩،^(١) التي زعمت أن شكسبير شخصية وهمية، وأن هذا الاسم (ويليام شكسبير) كان اسماً وهمياً، يكتب خلفه الفيلسوف والأديب الإنجليزي فرانسيس بيكون وآخرون. وهي قضية شغلت سنوات عمرها، وحاولت اثباتها زمناً طويلاً، ونشرت كتاباً كبيراً، تشرح فيه أدلتها قبل وفاتها بسنتين. ولكن البرفسور يتبنى وجهة نظر النقاد الإنجليز الذين هاجموا عن قوس واحدة، ورأوا أن كتابها نوع من الجنون والهوس الأدبي، الذي لا دليل عليه. فالبرفسور حين يعرض لحكايتها لا يرى سوى أنها "الأمريكية الحمقاء ... التي ظلت تحوم حول مدفن شكسبير تحاول فتحه، حتى أصيبت بالجنون"^(٢).

وفي إحدى استطراداته يصرح بطل الرواية أنه يكره اليونان، ويكره أساطيرهم^(٣). ولكنه يضطر لفهمها لأنها توظف كثيراً في الأدب الحديث. ويزعم أن عدم فهمه لهذه الأساطير يجعله (كالأطرش في الزفة) أمام رواية (يوليوس) لجيمس جويس. ويثني على السياب الذي شرح الأساطير اليونانية المذكورة في شعره، بينما يرى أن الجواهري قد أساء في هذه الهوامش لأنه يشرح البيت الواحد ب ٩٩ سطراً.^(٤) وهذا موقف حضاري ونقدي من النادر سماعه في النقد الحديث، وينم عن شجاعة أدبية من جهة، واعتزاز بالثقافة العربية من جهة أخرى؛ ذلك أن الهزيمة الحضارية أمام الغرب

(١) للمزيد حول سيرتها ينظر الموسوعة البريطانية:

<https://www.britannica.com/biography/Delia-Salter-Bacon>

(٢) السابق: ٦٥

(٣) ينظر: السابق ٦٧

(٤) ينظر: السابق ٦٧

النقد الأدبي في رواية العصفورية لغازي القصبي-دراسة استقرائية تحليلية، د. صالح بن عويد الحربي

جعلت من شبه المسلم به أن كل أديب في العالم ينبغي أن يكون ملماً بالرموز الحضارية والأساطير التي تخص الغرب.

ويعرض البرفسور للروائي الإيرلندي جيمس جويس الذي يسميه "والد الرواية الحديثة"، ويصف هذه الرواية قائلاً "التي لا تبدأ ولا تنتهي ولا يوجد فيها عقدة. ولا أختار ولا أشرار. ولا رواية ولا معلق، حيث تتناثر في السطر الواحد عشرات الإيماءات والألغاز"^(١)، وهو يعلق على الغموض الذي اتسمت به روايات جيمس قائلاً إنه لا يمكن لأحد أن يتذوق يوليوس ما لم يكن ملماً بالتاريخ والفلسفة والتراث الإغريقي والأديان المقارنة وعلم النفس وكل ما يمكن معرفته عن إيرلندا^(٢).

ويبدو أن غموض جيمس جويس وصعوبة رواياته هي الفكرة الأبرز في ذهن البرفسور، والتي ظل يكررها ويستشهد لها في أمثلة متعددة. فجيمس قضى سبع سنوات في كتابة رواية يوليوس، التي يصفها بأنها غريبة جداً، لكن اهتمامه بالرواية لا يخفى على القارئ، فحببية البرفسور سوزي كانت معجبة بالرواية إلى حد الهوس، وكانت ترى أن هذه الرواية أصدق رواية في الأدب الانجليزي^(٣). كما أن البرفسور يعرف تفاصيل الرواية، ويعلق على بعض أجزائها، كما يعرف أيضاً تاريخ الرواية، فهو يذكر أنها كانت ممنوعة في بريطانيا وأمريكا لبذاءتها، ولكنه لم يجد فيها شيئاً من البذاءة، "باستثناء صفحة مقززة عن التغوط"^(٤).

وهو يصف الروائي جيمس بأنه كان يحب العجائب، ففي روايته يكون بطل الرواية يهودياً بين أهل دبلن الكاثوليكين، الذين لم يكونوا أكثر البشر تسامحاً، مع أنه

(١) السابق ٦٦

(٢) ينظر: السابق ٦٦

(٣) السابق ٦٦ و ٦٧

(٤) السابق ٦٦

لا يكاد يوجد يهودي واحد في دبلن، ويذكر أن هذه الرواية من أولها إلى آخرها عبارة عن تدفق للمشاعر، وتداعٍ للأفكار^(١). والبرفسور يرى أن هذا النهج في الغموض أعجب جيمس ولذا جاءت روايته الثانية (فينجانز ويك) التي كتبها في سبعة عشر عاماً أدهى وأمر، وهو لم يكتبها إلا لنفزة النقاد والقراء، فهو يعلم علم اليقين أن أحداً لن يفهمها، وإذا قال لك أحد أنه فهم الرواية فقل له "إنه كاذب في وجهه"^(٢).

ولكن الروائي المفضل لدى البرفسور هو شتاينبك وهو يؤكد على القارئ أن يأخذ هذا الحكيم بشكل جاد فيقول أنا لا أحب المباهاة يا حكيم، ولكني قرأت جل ما كتبه عباقرة الروائيين من روس وفرنسيين، وأمريكيين وبريطانيين وعرب. ويبقى شتاينبك كاتب المفضل^(٣). ويصفه بأنه لا يفصل في الوصف إلا فيما ما ندر، ولا تحتاج لأن تكون موسوعة بشرية لتفهم ما يريد أن يقول، ولذا لا يشعر القارئ معه بالملل. كما يذكر أن روايته الأحب لديه هي رواية (Cannery Row) (شارع التعليب)، ولكنه يقف مع هذه الترجمة لعنوان الرواية قائلاً إنها ترجمة حرفية ركيكة، والترجمة دائماً خيانة للأصل^(٤).

ولا تخلو الرواية من آراء نقدية متفرقة كان البرفسور ينشرها في استطراداته الكثيرة، فالروائيون الروس يذبحونك بالتفاصيل، فرواية تولستوي (الحرب والسلام) رائعة من روائع الفكر البشري، ولكن القارئ لا يطبق الوصف المسهب لكل تفصييلة

(١) ينظر: السابق ٦٧

(٢) السابق ٦٧

(٣) ينظر: السابق ٦٨

(٤) ينظر: السابق ٦٨ و ٦٩

النقد الأدبي في رواية العصفورية لغازي القصبي-دراسة استقرائية تحليلية، د. صالح بن عويد الحربي

في الرواية^(١). والشاعر ويليام وردزورث كتب قصائد كثيرة يتغزل فيها بلوسي، رغم أنها شخصية وهمية متخيلة كما يرى كثير من النقاد^(٢).

وهذه التفاصيل المتناثرة التي تناولت الأدب العالمي في أماكن شتى وبلغات مختلفة، تدل بدورها على اطلاع لا بأس به على أشهر ما أنتجته هذه الآداب. وفيما نجده يمر بالشعر مروراً عابراً؛ نراه يطرح في الرواية آراءً دقيقة في مسرحيات شكسبير، وروايات جيمس جويس، وشتاينبك، مفضلاً لبعض أعمالهم، معللاً لتفضيله روائياً على آخر. وهو مطلع كذلك على الجدالات النقدية، التي دارت حول أهم القضايا الأدبية، مثل حقيقة شخصية شكسبير، وحقيقة وجود حبيبة ألمانية لوردزورث.

كما أن موقفه من الغموض الأدبي المفرط في بعض الأعمال الأدبية ينم عن موقف ذوقي من الأدب، وأنه في أصله للمتعة والجمال، والإيغال في الغموض يقطع الطريق على القارئ ويجرمه الاستمتاع بالعمل الأدبي. وكذلك موقفه من الأساطير اليونانية والتعامل معها كإرث عالمي ينبغي للجميع فهمه ومعرفته، يدل على وعي حضاري، يفرق بين الإرث المحلي والإرث الغربي الذي أصبح يغزو الأدب العربي، ويظهر في شعره ونثره. كما يبين موقف البرفسور من الترجمة إدراكه لإشكالاتها، وأنها لن تستطيع إيصال العمل الأدبي كما كان في لغته الأصلية.

(١) ينظر: السابق ٦٨

(٢) ينظر: السابق ١٦٢

المبحث الثالث: قضايا نقدية

في المبحثين السابقين كنا نتتبع آراء البرفسور المجنون نزيل مستشفى العصفورية في الأدباء العرب والغربيين، بينما سنجد في هذا المبحث يمارس نقداً فعلياً، وذلك بنقده لأبيات من الشعر العربي، أو معالجته لقضايا نقدية قد يشترك فيها الأدبان العربي والغربي.

ولأن جو الرواية يقوم على السخرية فقد أطلق البرفسور العديد من الأحكام النقدية الساخرة التي لا تتناول شاعراً بعينه، ولكنها تخص الشعر كله أو الشعراء كلهم، فهو يقول "من حق كل إنسان أن يقرض الشعر طبقاً لإعلان حقوق الإنسان، الصادر من الأمم المتحدة. ولا يجوز حبس إنسان بسبب شعره مهما كان رديئاً طبقاً لمنظمة العفو الدولية"^(١). لكنه يصرح في موضع آخر بأن "الشعر مهنة لا تخلو من الخطورة، بخلاف ما يتصوره عدد من المراقبين الدوليين"^(٢). أما النقاد فهم في رأيه يشبهون الحلاقين لأنهم يشتركون في حب الثروة والارتزاق من رؤوس الآخرين.^(٣) وفي حكم ساخر آخر يقول "لا يصبح الشاعر شاعراً ما لم تحيء في شعره بعض الصور المرعبة"^(٤). وهو يضرب لذلك أمثلة من شعر شكسبير والمتنبى^(٥). فهو ينقل عن شكسبير في إحدى مسرحياته "احذر الغيرة يا مولاي. ذلك الوحش الأخضر العينين الذي يسخر من اللحم الذي يزرده"^(٦). وينقل عن المتنبى بيته الذي يقول

(١) السابق ٢٤

(٢) السابق ٢١٨

(٣) ينظر: السابق ١٦٦

(٤) السابق ١٧٧

(٥) السابق ١٧٧

(٦) السابق ١٧٧

فكلما حلمت عذراء عندهم فإنما حلمت بالسي والجمل^(١)
ثم يعلق عليه "صورة كابوسية. بمجرد أن تحلم أي عذراء رومية ينقض عليها
جمل مسرع ويأخذها سبية على ظهره"^(٢). ويعلق على بيت المتنبي الآخر الذي يقول:
سحائب يمطرن الحديد عليهم فكل مكان بالسيوف غسيل^(٣)
"حتى قبلة هيروشيما لم تمطر على هذا النحو"^(٤).

ويعرض للروائيين قائلاً إن لهم ولعاً غريباً بالبله والجنون، فلسبب غير مفهوم،
يحب الروائيون الكتابة عن البله. "خذ مثلاً أبله دستوفيسكي أشهر البله. أو الزين
بطل (عرس الزين)^(٥) الذي لم يكن أبلهاً عادياً، بل كان فيه شيء لله. أو محدودب
نوتردام الذي لم يكن أدكى قارع جرس في التاريخ"^(٦). وهي ملاحظة طريفة تدل على
اطلاع المؤلف على الإنتاج الروائي وثقافته الأدبية العالية، ولكنها لا يمكن أن تعامل
على أنها ملاحظة نقدية.

وهو كذلك يبدي اهتماماً لافتاً بالشعر الذي قيل في السجون فعدد لا بأس به
من الشعراء قد دخل السجن، وهو يسميه تارة باللومانيات ويشرح هذه التسمية بأنها
"ليست مشتقة من الليمون أو اللوم، ولكن من اللومان الذي هو السجن بالمصرية
الدارجة"^(٧). ومرة بالجيليات نسبة لكلمة gale بالانجليزية والتي تعني الحبس أو

(١) ديوان المتنبي ٨٣ / ٣

(٢) العصفورية ١٧٧

(٣) ديوان المتنبي ١٠١ / ٣

(٤) العصفورية ١٧٧

(٥) رواية للروائي السوداني الطيب صالح.

(٦) العصفورية ٦٩

(٧) السابق ٢١٨

السجن، ويزعم أنه قد جمعها في كتاب أسماه (الكلام المقفى الموزون في سكنى السجون)^(١).

ويستشهد لهذه الفكرة بالعديد من الشواهد الشعرية من الشعراء العرب والإنجليز، فهو يذكر أن شكسبير لم يسجن، ولكنه أكثر من ذكر السجن في مسرحياته، بينما سجن أوسكار وايلد وقال في السجن أروع قصائده، ولكنه خرج منه محطماً ولم يعيش بعده طويلاً. بينما اشتهر في الشعر العربي أبو فراس الحمداني بقصائده التي قالها في أسره، والتي سميت بالروميات. ويستشهد بقصة سجن الخطيئة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويستشهد من الشعراء المحدثين بسليمان العيسى الذي كتب ديواناً كاملاً في هذا الموضوع، ومحمود الزيري صاحب القصيدة التي وصفها بأنها بدیعة ومطلعة:

خرجنا من السجن شم الأنوف كما تخرج الأسد من غابها

وعباس محمود العقاد الذي سجن تسعة أشهر ليقول حينما خرج:

قضيت ببطن السجن تسعة أشهر وها أنذا في ساحة المجد أولد^(٢)

ولكن البرفسور بيدي اهتماماً أكبر ببعض القضايا النقدية التي يؤكد عليها ويستشهد لها بعيداً عن سياق الرواية الساخر. فمن ذلك حديثه عن رأي بعض النقاد أن العرب لم يعرفوا فن الرواية إلا في العصر الحديث، يهاجم البرفسور هذا الرأي بعنف قائلاً "أولاد حرام الذين قالوا هذا الكلام أولاد حرام! ماذا عن (عنتر بن شداد)؟ ماذا عن (الأميرة ذات الهمة)؟ ماذا عن (الزير سالم)؟ ماذا عن (تغريبة بني هلال الكبرى)؟ نقلاً عن الغرب في القرن العشرين. يا سلام!! وإذا تحذلق متحذلق قال إن

(١) ينظر: السابق ٢١٩

(٢) ينظر السابق ٢١٥

النقد الأدبي في رواية العصفورية لغازي القصبي-دراسة استقرائية تحليلية، د. صالح بن عويد الحربي

هناك شيئاً من القصة في فن المقامات لا يا شيخ شيء من فن القصة! وماذا عن (التوابع والزوابع)؟ ماذا عن (رسالة الغفران)؟ ماذا عن (حي بن يقظان)؟ ماذا عن (ألف ليلة وليلة) أروع مجموعة قصصية عرفها العالم؟^(١)

ويرى أن بحر المنسرح بحر يحبه المتنبي، ولكن أغلب "الشعراء العرب المعاصرين يستثقلونه، البعض يستثقله من حيث المبدأ. والبعض يخشى أن يختل فيه (كما اختل في وزن القريض عبید)"^(٢) وهي ملاحظة طريفة تحتاج إلى إثبات، ولكن القارئ سيتفطن إلى قلة ورود هذا البحر على ألسنة الشعراء المعاصرين مقارنة بالأبحر الشهيرة كالطويل، والبسيط، والكامل، والوافر، وغيرها.

ويقف مع قضية نقدية أخرى وهي البنيوية، ويعرفها تعريفاً أقرب إلى العلمية فيقول: "البنيوية تتعامل مع النص باعتباره مجموعة بني، وبني جمع بنية وهي ستركشتر، وهذه البنى تتفاعل فيما بينها، وفيما بينها وبين اللغة. وهذا التفاعل هو الذي يحدد القيمة النص! بصرف النظر عن العوامل الخارجية. البنيوية أعلنت استقلال النص عن صاحبه. مات الكاتب! عاش النص!"^(٣) وهذا التعريف يدل على اهتمام حقيقي بفهم البنيوية وهو كما يتضح جاء في حديث جاد تكاد تنسى أن صاحبه مجنون في مصحة عقلية.

وهو لا يكتفي بالتعريف، بل يبدي رأيه في هذه المدرسة النقدية فيقول: "أنا شخصياً لا أعترض على البنيوية. ولا على أي مدرسة أخرى. أعترض على مبدأ

(١) السابق ٣٢

(٢) السابق ١٦٤، وهو إشارة إلى بيت المعري:

وَقَدْ يَخْطِي الرَّاْيَ امْرُؤٌ وَهُوَ حَازِمٌ كَمَا اخْتَلَّ فِي وَزْنِ الْقَرِيضِ عَبِيدُ
أبو العلاء المعري، لزوم مالا يلزم (دار النوادر، بيروت، ٢٠١٣) ١/١٩٥.

(٣) السابق ١٦٦

الاحتكار. الحقيقة ليست حكراً على أحد. ثم يقف عند تشبيه أعجبه ورأى أنه يناسب وصف محبوبته وهو قول الأديب الرومانسي بيرون "يجتمع في محياها وعينيها أحسن ما في السواد وأحسن ما في البياض ويعلق على هذه العبارة قائلاً هذه العبارة لا يمكن أن تفهم بنيوياً، لا يمكن أن تفهم من داخلها. ولا من داخل اللغة. لا بد أن تفهم من الخارج. لا بد أن تكون لديك حبيبة ينطبق عليها هذا الوصف لتفهم مراد الشاعر"^(١).

ويعرض ساخراً للحادثة وما سمي بصدمة الحادثة فيذكر أنه التقى أدونيس في مقهى بوهيمي في زقاق من أزقة باريس الضيقة يكتب ويمزق كل ما يكتب، ودعاه أدونيس إلى أن يحتسي معه كوكتيل صدمة الحادثة، وحين سأله البرفسور: "وما كوكتيل صدمة الحادثة؟ قال: خذ كفريات ابن الراوندي الملحد وهرطقات بشار الأعمى الناصح، وشعوبيات أبي نواس الغلامي الزنديق، ورش عليها شكوكيات أبي العلاء المعري، وتقعرات أبي تمام. ثم خذ خربقاً وسلفقاً وشبرقاً فزهقه وزرقه فينتج كوكتيل صدمة الحادثة"^(٢). وهو وصف رغم سخريته الظاهرة لا يبين عن موقف إيجابي من هذه الحادثة، ومن صدمتها، ومن داعيتها الشهير أدونيس، ويرى أنها تجمع كل أنواع الرفض التي حفل بها الأدب العربي؛ لتصدم القارئ العربي المعاصر.

ويعرض البرفسور لقضايا نقدية أخرى، مثل حديثه عن الغزل بالمذكر، ويذكر أن قصيدة السوناتا التي يرى أنها من أجمل شعره؛ هي قصيدة في ذكر لا أنثى كما يرى بعض النقاد، ودليلهم أنها مهداة إلى رجل، وهو في بعض أبياتها نصيحة بأن يتزوج الفتى قبل فوات الأوان.^(٣) وينطلق من هذه النقطة ليؤكد أن تسعين بالمئة من

(١) السابق ١٦٦

(٢) السابق ٤٠

(٣) ينظر: السابق ٦٥

النقد الأدبي في رواية العصفورية لغازي القصبي-دراسة استقراية تحليلية، د. صالح بن عويد الحربي

"الغزل في الشعر العربي منذ منتصف القرن العباسي وحتى بداية القرن العشرين غزل في مذكر، وحتى حينما يقصد الشاعر حبيبته يقول حبيبي، وحتى عندما يعني السمراء يقول الأسمر. انتشرت مفردات الغزل في المذكر حتى طبعت كل الغزل العربي بطابعها". (١)

ويمارس البرفسور النقد الفعلي حين يتكلم عن بعض أبيات الشعر العربي، مبدئاً رأياً نقدياً حولها، أو محلاً لإياها بطريقة مميزة، فهو يتعرض لابن الرومي ذاكراً أبياته الشهيرة في حب الأوطان، التي يقول فيها:

وحب أوطان الرجال إليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلك (٢)

ويعلق البرفسور: وهذا شعر جميل. وابن الرومي شاعر فحل. وإن كان شعره لا يدل على فحولة. وهو شاعر منحوس (٣) ويقف مع أبيات المتنبي:

لولاك لم أترك البحيرة والغو ... ر دفيئ ومأوها شيم
والموج مثل الفحول مزبدة ... تهدر فيها وما بها قطم
والطير فوق الحباب تحسبها ... فرسان بلق تخونها اللحم
كأنها والرياح تضربها ... جيشا وغى هازم ومنهزم (٤)

فيذكر أن كلمة شيم لم يستخدمها أحد من الشعراء قبل المتنبي، ولم يستخدمها

(١) السابق ٦٥

(٢) ديوان ابن الرومي، ت حسين نصار (بلا معلومات) ١٨٢٦ / ٥

(٣) العصفورية ١٧٢

(٤) ديوان المتنبي ٦٦ / ٥

أحد بعده^(١). ويخاطب طبيبه قائلاً: واعلم يا نطاسي، أن أحداً قبل أبي حصيد لم يشبه موجات البحيرة الناعمة بالجمال الهادرة. ولم يفعلها أحد بعده. ولكن أبو حصيد يفعلها ولا يبالي، وليته اكتفى بذلك لم يكتف. جعل الطيور الصغيرة الوديعة فرساناً تمتطي خيولاً شطرنجية، أي مزخرفة بالبياض والسواد، ثم حول المشهد كله إلى معركة حربية طاحنة بين جيشين. صورة بالغة الغرابة تنبع من عقل أبي حصيد لا من البحيرة^(٢). وهي ملاحظة عميقة في أثر نفسية الشاعر في صناعة الصورة الفنية.

كما يقف مع أبيات لسيف الدولة الحمداني فينتقدها انتقاداً قاسياً، ولكنه يضع هذا النقد على لسان المتنبي، ويجعله هو سبب الخلاف والفرقة بينهما. فسيف الدولة يقول:

راقبني العيون فيك وأشفقت ... ولم أخل قط من إشفاق
ورأيت الحسود يحسدني فيك ... اغتباطاً يا أنفس الأعلاق
فتمنيت أن تكوني بعيداً ... والذي بيننا من الحب باق

رب خوف يكون من أجل خوف ... وفراق يكون خوف فراق
وهو يعلق عليها ساخراً: "اللهم لا اعتراض! أنشد فيها هذه الأبيات وهذا شأنه، ومن حق كل إنسان أن يقرض الشعر طبقاً لإعلان حقوق الإنسان. ولا يجوز حبس إنسان مهما كان شعره رديئاً"^(٣) ولكنه يعقب بنقد تفصيلي ينسبه للمتنبي فيقول: "قلت له يا سيف الدولة هناك بعض الملاحظات؛ في البيت الثاني ذكرت كلمة اغتباطاً وهي كلمة ليس لها مبرر. مجرد حشو ليستقيم الوزن..... جملة ولم أخل

(١) ينظر: العصفورية ١٦٤

(٢) السابق ١٦٤

(٣) السابق ٢٤

النقد الأدبي في رواية العصفورية لغازي القصبي-دراسة استقراية تحليلية، د. صالح بن عويد الحربي

قط من إشفاق زائدة جملة اعتراضية جملة غير مفيدة".^(١) "وفي البيت الثالث حاولت أن تطابق بين البعد والقرب فعصلجت عليك القافية فطابقت بين البعد والبقاء، وهذا ليس بشيء.... وأما البيت الرابع فلا بأس به أنصحك أن تحتفظ به وأن ترسل بقية الأبيات إلى الأرشيف العام في حلب لإجراء اللازم"^(٢).

وقد حذفت عددا من التعليقات الساخرة التي تخللت هذا النقد. وهو نقد فني يقف على مزالق واضحة في أبيات سيف الدولة، ويركز على الحشو الظاهر في البيتين الأول والثاني كما يلتفت إلى القافية التي اضطرت الشاعر إلى قول مالا يريد. كما لا ينسى الإشادة بالبيت الوحيد الذي أعجب ناقدنا المجنون وهو البيت الأخير^(٣). وأما حافظ إبراهيم فقد انتقد مرثيته للشيخ محمد عبده ورأى أن مطلع قصيدته الذي يقول فيه:

سلام على الإسلام بعد محمد سلام على أيامه النظرات

يرى أنه "بيت بذيء جداً. بذيء إلى درجة متناهية..... أومن بالحرية الفنية إلى أبعد الحدود. ومع ذلك أعتبر البيت بذئياً جداً للإسلام لا يموت بموت أحد. حتى رسول الله عليه الصلاة والسلام لم يقل أحد إن الإسلام انتهى بوفاته. وحافظ إبراهيم يودع الإسلام بعد محمد عبده. ولا يكتفي فيقول:

فإني لأخشى أن يضلوا فيومئوا إلى نور هذا الوجه بالسجادات"^(٤)

وهو نقد يركز على معنى الأبيات ويشير إلى مبالغات غير مقبولة وقع فيها حافظ إبراهيم.

(١) السابق ٢٤

(٢) السابق ٢٥

(٣) ينظر: السابق ٢٤.

(٤) السابق ٢٨

ويذكر أن رواية (دعاء الكروان) لطفه حسين "لم تكن رواية حقيقية، بل مجرد خواطر منمقة"^(١). وهو يشير في سياق آخر إلى أن قصيدة عمر أبي ريشة عن النسر لم تكن في حقيقتها عن النسر، بل كانت عن العقاب. وأنه يقول في قصائده قصصاً لا يصدقها أحد^(٢). ويرى أن شعر العقاد في رثاء كلبه شعر ركيك.^(٣) ويقف عن قول نزار: وبنيت أهراماً من الحلمات فيرى أنها مبالغة ممجوجة^(٤).

وهذه الأحكام النقدية المنشورة بكثرة في ثنايا الرواية على لسان بطلها البرفسور المجنون مع ما يغلب عليها من تلقائية، ويغلفها من طابع ساخر، تترك انطباعاً في نفس القارئ يوحي له بموقف المؤلف من كثير من القضايا الأدبية والنقدية التي اطلع عليها في الأدبين العربي والغربي. ولكن القارئ لا يستطيع أخذ هذه المواقف مأخذ الأحكام النقدية العلمية. لأنه يعلم أنها مشوبة بطابع الانفعال وتوارد الخواطر. ولا تخلو من مبالغة لا تقبل فالممتني ليس أول من استخدم كلمة (شيم) ولن يكون آخر من استخدمها كما زعم البرفسور، ولكن القارئ لن يستنكر هذه المبالغة أو يعاملها معاملة المعلومة التي تحتاج إلى توثيق، بل سيمر عليها باسمًا مكتفياً بطابع الغرابة فيها والذي نبهه إليه البرفسور.

(١) السابق ٢٢

(٢) ينظر: السابق ١٦٨

(٣) ينظر: السابق ١١٩

(٤) ينظر: السابق ٦٤

الخاتمة:

تبدو هذه الرواية متفردة في صيغتها، وبنائها، وحواراتها، وأبطالها. وهذا التفرد هو ما ساعد المؤلف في جعلها بياناً ثقافياً ومعرفياً رفيعاً، محملاً بكل ما شاء أن يثقله به من حمولات أدبية واجتماعية وسياسية واقتصادية، تتناول الشأن العربي، وتهم القارئ العربي. وساعدته صيغته الحوارية الساخرة على أن يكون - رغم كل هذا الحشد المعرفي - خفيفاً على نفس القارئ.

ولعل القصبي اختار أن يجعل البرفسور المجنون بشار الغول البطل الأوحده، الذي يسمح له الجنون أن يقول ما يشاء فيمن شاء، مدفوعاً بسببين محتملين هما: الأول: منصبه السياسي الرفيع الذي يمثل قيداً يجعل من الصعب عليه أن يعبر عن هذه الآراء بشكل مباشر. والثاني: بُعد تخصصه العلمي عن الأدب والنقد، مما يجعله يتمسك بالنزق الأدبي الذي اكتسبه، مؤكداً أنه يميل إلى النقد الانطباعي.

وهذه الرواية رغم ما حفلت به من مختلف الآراء السياسية والاجتماعية والثقافية والأدبية؛ إلا أنها تبين إلى حد كبير؛ أن ثمة اهتماماً خاصاً من المؤلف بالأدب والأدباء، يتضح أولاً في الاطلاع الواسع الذي تشهد به الرواية لمؤلفها في مختلف الآداب العالمية، فهو ينتقل بك من أشعار شكسبير ومسرحياته إلى قصائد الرومانسيين وميزاتهم الأدبية، كما يعرج على الروايات الروسية، ثم معلقاً على أشهر الروائيين الأمريكيين، مفاضلاً بينهم. كما يعرض لقضايا نقدية أشغلت الأدباء في فترات مختلفة. ولكن غزارة الأدبية تبدو في اطلاعه وتعاطيه مع الأدب العربي.

ف نجد الأدب العربي قديمة وحديثه حاضراً بشكل ظاهر في صفحات الرواية، فلا نكاد نتجاوز صفحة واحدة دون أن نجد أديباً عربياً، أو بيتاً شعرياً، مستشهداً به منذ عصور الشعر الأولى وحتى العصر الحديث. وهي ثقافة أدبية رفيعة، لا نكاد نجدها عند غير المتخصصين في الأدب، بل قد لا يتوفر عليها بعض المتخصصين.

والقصبي لا يقف عند حدود الأسماء أو الأبيات، بل ييدي اطلاعاً واسعاً على تاريخ هذه الشخصيات الأدبية، ومعرفة دقيقة بنتائجها الأدبي، منتقداً بعضه ومشيداً بالبعض الآخر. وهو لا يتردد في إبداء موقفه الشخصي من كثير من الأدباء معبراً عن إعجابه ببعضهم ونفوره أو سخريته من آخرين.

كما أن ثقافته الأدبية الغربية ثقافة واسعة، وإن كانت أقل بشكل ظاهر من ثقافته في الشعر العربي. فهو مطلع على أبرز الأسماء الأدبية الإنجليزية، قارئاً لتأليفهم، ومفضل بعضه على بعض. وهو أكثر اطلاعاً على الأدب الإنجليزي من غيره من الآداب، فهو يتكلم عن قصائد ومسرحيات وروايات إنجليزية، متعرضاً لبعض تفاصيلها. أما في غير الإنجليزية فلا يتجاوز الإنتاج الروائي لدى الروائيين الروس، أو أشعار الرومانسيين الفرنسيين. كما لاحظ البحث أن القصبي أقل حفاوة واهتماماً بالشعر الغربي منه بالرواية، وهو أمر يتفق مع ما صرح به القصبي في كتب أخرى بعدم تذوقه لغیر الشعر العربي، رغم ترجمته لبعض القصائد.

وثمة رؤية نقدية واهتمام أدبي عبر عنه المؤلف بكل وضوح محملاً بتبعة هذه الآراء على بطل الرواية الذي لا يتورع عن استخدام الألفاظ البذيئة أحياناً، أو التعبيرات الصادمة، فهو مجنون في مصحة عقلية، وليس على المجنون حرج. كما أنه لا يكلف نفسه شرح مواقفه النقدية، فهي مواقف انطباعية يملها عليه ذوقه الأدبي المتمرس. ولكنه يسمح لنفسه أحياناً بتقمص دور الناقد المحترف الذي يحلل الأبيات الشعرية، مبيناً نقاط قوتها وضعفها. ذاكراً التشابهات الأدبية بين النصوص الأدبية في لغات مختلفة. معلقاً على بعض التيارات الأدبية التي عاصرها.

فالرواية بمجملها قد يصح فيها القول إنها بيان ثقافي طويل، يعبر عن آراء القصبي نفسه، في كثير من الأدباء العرب والغربيين، وفي عدد كبير من القضايا الأدبية والنقدية، ويصح القول إن الآراء النقدية في مجملها آراء انطباعية، ليست وليدة درس

النقد الأدبي في رواية العصفورية لغازي القصبي-دراسة استقراية تحليلية، د. صالح بن عويد الحري

نقدي لكنها تنم عن ذوق مدرب. والمؤكد أن القصبي بهذه الصيغة المبتكرة قد تحرر من عباءة النقد التقليدي، وتجاوز عقد التخصص التي كان يرى أنها تميز النقاد المحترفين؛ ليتكلم في فنون الأدب المختلفة ويتعرض بالنقد والتقييم، والسخرية أحياناً من كثير من الأسماء والقضايا الأدبية، ومعبراً في ذات الوقت عن علو كعبه في الثقافة والأدب رغم انشغالاته السياسية والإدارية

وإن كان من توصية يخرج بها هذا البحث، فهي حث الدارسين على تتبع الآراء النقدية التي ترد في غير مجالها. كالتى تختبئ في ثنايا الروايات أو القصائد الشعرية، خاصة لدى الأدباء المتميزين، الذين يثرون القارئ بثقافتهم العالية، وذوقهم الرفيع. والقصبي . رحمه الله . أحد الأسماء المميزة التي برز عطاؤها وإبداعها في أكثر من مجال.

المصادر:

- القران الكريم.
- أبو نضال، نزيه. التحولات في الرواية العربية (الدار العربية للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤)
- البلوي، منصور. الاستهلال السرد في الرواية السعودية المعاصرة (الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٦)
- ديوان ابن الرومي، ت حسين نصار (بلا معلومات)
- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري ت مصطفى السقا وآخرون (القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٧١)
- ديوان أبي فراس الحمداني، ت سامي الدهان (المعهد الفرنسي بدمشق، بيروت، ١٩٤٤)
- ديوان حافظ إبراهيم (المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧)
- ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، ت الأستاذ عبدالعزيز الميمني (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩١)
- الزواوي. بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، القاهرة: منشورات المجلس الأعلى للثقافة، طباعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط ١، ٢٠٠٠
- السمان، محمد. خطاب الجنون في الثقافة العربية، رياض الريس للنشر، ط ١، ١٩٩٣
- فوكو، ميشيل. تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ت سعيد بنكراد، بيروت، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط ١، ٢٠٠٦
- القصبي، غازي. العصفورية، (دار الساقى، بيروت. ط ٣. ١٩٩٩).
- القصبي، غازي. أبو شلاخ البرمائي (دار الساقى، بيروت ٢٠٠٠)

النقد الأدبي في رواية العصفورية لغازي القصبي-دراسة استقرائية تحليلية، د. صالح بن عويد الحربي

القصبي، غازي. الغزو الثقافي ومقالات أخرى (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ٣. ٢٠١١)

القصبي، غازي. دنسكو (دار الساقى، بيروت ٢٠٠٠)

القصبي، غازي. سبعة (دار الساقى، بيروت. ١٩٩٨).

القصبي، غازي. سحيم (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٦)

القصبي، غازي. سيرة شعرية (دار تهامة، جده ط ٣،)

المعري. أبو العلاء، لزوم مالا يلزم (دار النوادر، بيروت، ٢٠١٣)

الموسوعة البريطانية:

<https://www.britannica.com/biography/Delia-Salter-Bacon>

الأبحاث:

يوسف. جمال علي (حوار الأقنعة في رواية العصفورية للروائي غازي بن عبد الرحمن القصبي، دراسة سيميائية) مجلة جامعة الشارقة للعلوم الانسانية والاجتماعية مج

١٩ ع ٤ (٢٠٢٢)

المفرح، حصة (خطاب الجنون في رواية العصفورية لغازي القصبي، مقارنة في

الحجاج) مجلة كلية الآداب بالقاهرة، مج ٨١، ع ٢، يناير ٢٠٢١.

الصباح، رشا (الجنون في الأدب) عالم الفكر، مج ١٨، ع ١، ١٩٨٧

الكعبي، ضياء (تمثيلات الجنون في خطاب القصبي الروائي: العصفورية وأبو شلاخ

البرمائي والزهايمر أمودجا) مجلة البحرين الثقافية، ع ٨٦، أكتوبر ٢٠١٦.

عبيدات، عدنان محمود وزهير محمود عبيدات (خطاب الجنون: قراءة في رواية

العصفورية) المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج ٧، ع ٤٤، أكتوبر ٢٠١١،

ص ٢٦٧-٢٩٧.

Bibliography

- Abū al-‘Alā’ al-Ma‘arrī, *Luzūm mālā yalzam* (Dār al-Nawādir, Beirut, 2013).
- Dīwān Ibn al-Rūmī, t Ḥusayn Naṣṣār (without information).
- Dīwān Abī al-Ṭayyib al-Mutanabbī be-sharḥ Abī al-Baqā’ al-‘Ukbarī. Investigated by: Muṣṭafā al-Saqqā et el. (Cairo: Maṭba‘at al-Bābī al-Ḥalabī, 1971).
- Dīwān Abī Firās al-Ḥamadānī. Investigated by: Sāmī al-Dahhān (The French Institute in Damascus, Beirut: 1944).
- Dīwān Ḥāfiẓ Ibrāhīm (Supreme Council of Culture, Cairo: 2007).
- Dīwān Suḥaym ‘Abd Banī al-Ḥashās, investigated by: prof. ‘Abd-al-‘Azīz al-Maymanī (Dār al-Shu‘ūn al-Thaqāfiyah al-‘Āmmah, Baghdad: 1991).
- al-Zawāwī Baghūrah. *The Concept of Discourse in the Philosophy of Michel Foucault*, (in Arabic). (Cairo: Publications of the Supreme Council of Culture, printed by the General Authority for Amiri Press Affairs, 1st ed., 2000).
- Ghāzī al-Quṣaybī, Abū Shalākh al-Barmā’y (Dār al-Sāqī, Beirut 2000).
- Ghāzī al-Quṣaybī, al-‘Uṣfūriyyah, (Dār al-Sāqī, Beirut: 3rd ed., 1999).
- Ghāzī al-Quṣaybī, al-Ghazw al-Thaqāfī wa-Maqālāt Ukhrā (al-Mu’assasah al-‘Arabīyah lil-Dirāsāt wa-al-Nashr, Beirut, 3rd ed., 2011).
- Ghāzī al-Quṣaybī, *Densko* (Dār al-Sāqī, Beirut 2000).
- Ghāzī al-Quṣaybī, *Sab‘ah* (Dār al-Sāqī, Beirut. 1998).
- Ghāzī al-Quṣaybī, Suḥaim (al-Mu’assasah al-‘Arabīyah lil-Dirāsāt wa-al-Nashr, Beirut: 1996).
- Ghāzī al-Quṣaybī, *Sīrat Shi‘rīyah* (Dār Tihāmah, Jeddah: 3rd ed., 1424 AH).
- Mansūr al-Balawī, *Narrative Initiation in the Contemporary Saudi Novel*, (in Arabic). (al-Dār al-‘Arabīyah lil-‘Ulūm Nāshirūn, Beirut: 2016).
- Foucault Michel, *A History of Insanity in the Age of Reason*, translated by: Sa‘īd Binkarād. (Beirut: al-Dār al-Baydā’: al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī, 1st ed., 2006).
- Nazīh Abū Niḍāl, *Transformations in the Arabic novel*, (in Arabic). (Al-Dār al-‘Arabīyah lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, Beirut, 2004).

Articles:

Jamāl ‘Alī Yūsuf. (Dialogue of Masks in the novel Al-Asfouriya by the novelist Ghazi bin Abdul Rahman Al-Qusaibi, a semiotic study), (in Arabic). University of Sharjah Journal for Humanities and Social Sciences, Vol. 19, Iss. 4 (2022).

Ḥuṣṣah al-Mufarrih (The Discourse of Madness in Ghazi Al-Qussabi's Novel Al-‘Usfouriya, An Approach to Al-Hajjaj), (in Arabic). Journal of the College of Arts in Cairo, Vol. 81, Iss. 2, January 2021.

Rashā al-Ṣubḥ (al-junūn fī al-Adab) ‘Ālam al-Fikr, vol. 18, Iss. 1, 1987.





الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

Journal of

Arabic Language and Literature

Vol : 9

Jul - Sep 2023